

محاضرة

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر خيرُه وشرُه، وحلوه ومره، هو إيمان بأصل من أصول الدين لا يصح إيمان العبد ما لم يعتقد به اعتقاداً جازماً .

1- تعريف القضاء والقدر

القضاء لغة: الفصل والحكم، وأصله القطع والفصل، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق.

قال ابن فارس: القاف، والضاد، والحرف المعتل؛ أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته قال تعالى: [فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ] فصلت 12. أي أحكم خلقهن.

ويأتي القضاء بمعان منها:

أ- يأتي بمعنى الأمر، ومنه قوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) الإسراء 23. أي: أمر.

ب- الأداء والإنهاء، ومنها قوله تعالى: [وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ] الحجر 66

القدر لغة:

القدر لغة: يفتح الدال وسكونها القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور.

قال الله عز وجل: (أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا) ¹ القدر يعني الحكم.

قال ابن فارس: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. وقدرت الشيء أقدره وأقدره - يسكون القاف وكسر الدال وضمها- من التقدير.

ويأتي القدر بعدة معان منها:

أ - التقدير، ومنه قوله ﷺ: " فإن غم عليكم فاقدروا له قدره".

ب التضييق، ومنه قوله تعالى: (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ) الفجر 16

تعريف القضاء والقدر شرعاً:

اختلف العلماء في تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلهما شيئاً واحداً، ومنهم من عرف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر، فقال: "القدر: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل".

والقضاء: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإيرادته.

تعريف آخر: "هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيتته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقها لها".

2- الفرق بين القضاء والقدر

ذهب بعض العلماء إلى أن القضاء والقدر مترادفان، وهذا بالاستناد إلى بعض أئمة اللغة الذين فسروا القدر بالقضاء، فقد جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي القدر: القضاء والحكم.

وذهب آخرون من العلماء إلى التفريق بينهما . فذهب بعضهم إلى أن القضاء سابق على القدر.

فالقضاء هو ما علمه الله وحكم به في الأزل، والقدر هو وجود المخلوقات موافقة لهذا العلم والحكم. قال الحافظ ابن حجر " قال العلماء : القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله " .

وقال في موضع " القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل.. "

وقال الجرجاني "القدر : خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحداً بعد واحد، مطابقاً للقضاء".

والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها".

وقيل: "إن القضاء والقدر متباينان إن اجتماعا، ومترادفان إن تفرقا ، على حد قول العلماء: هما كلمتان: إن اجتمعنا افترقنا، وإن افترقنا اجتمعنا.

فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرنا جميعا؛ فكل واحد منهما معنى.

فالتقدير : هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه.

-وأما القضاء؛ فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقا."

3-الأدلة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

وردت أدلة مجملة في القرآن الكريم تدل على تقدير الله للأشياء، كقوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) القمر⁴⁹، وقوله تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) الفرقان¹⁻²، وقوله تعالى: (سَنَةِ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَفْذُورًا) الأحزاب³⁸، وقوله تعالى: [فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَىٰ قَدْرِ مَعْلُومٍ فَخَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ] المرسلات²¹⁻²³

وقد ورد الحديث على الإيمان بالقدر في السنة، في حديث عمر بن الخطاب في سؤال جبريل عليه السلام الرسول عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: يعني جبريل - صدقت. وعن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه"

4- ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر يملأ القلب رضاءً بالله عز وجل وبدينه وبرسوله، ورضا عن الله عز وجل في قضائه وابتلائه، فيتذوق حلاوة الإيمان ولا يرضى به بدلاً، كما قال رسول الله ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً" وقال: "ثلاث من كن فيه وجد بمن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار."

والإيمان بالقدر يبعث في القلوب الشجاعة على مواجهة الشدائد، ويقوي فيها العزائم فتثبت في ساحات الجهاد ولا تخاف الموت، لأنها توقن أن الآجال محدودة لا تتقدم ولا تتأخر لحظة واحدة. قال تعالى:

- . ومن آثار الإيمان بالقدر أن يعرف الإنسان قدر نفسه، فلا يتكبر ولا يتعالى على الناس؛ لأنه عاجز عن معرفة المقدور، ومستقبل ما هو حادث، ومن ثم يقر الإنسان بعجزه وحاجته إلى ربه تعالى دائماً.

- لا يندم ولا يتحسر على ما فاتته من رزق في الدنيا ولا يفرح ولا ينفخر بما أعطاه الله عز وجل، ولا يقول مقالة الكافر بأنعم الله عز وجل: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) القصص من الآية 78، وإنما يقول: (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) المائدة من الآية 54، قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) الحديد 22 ، وهو في هذا كله معتمد على الله تعالى، يأخذ بالأسباب ويتعلق قلبه بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى.